

تفسير البحر المحيط

@ 67 @ السمع ؛ فلما بعث الرسول ، حرست السماء ، ورمي الجن بالشهب ، قالوا : ما هذا إلا أمر حدث . وطافوا الأرض ، فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم (بوادي نخلة ، وهو قائم يصلي ؛ فاستمعوا لقراءته ، وهو لا يشعر ؛ فأنبأه الله باستماعهم . .

{ الثَّالِثَةُ الْاَلْخَرَى } : أن الله أمره أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فقال : (إنني أمرت أن أقرأ على الجن فمن يتبعني) ، قالها ثلاثاً ، فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود ، قال : لم يحضره أحد ليلة الجن غيري . فانطلقنا حتى إذا كنا في شعب الحجون ، خط لي خطأً وقال : (لا تخرج منه حتى أعود إليك) ، ثم افتتح القرآن . وسمعت لغطاً شديداً حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، وعشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ، ثم تقطعوا تقطع السحاب ، فقال لي : (هل رأيت شيئاً) ؟ قلت : نعم ، رجالاً سوداً مستثفري ثياب بيض ، فقال : (أولئك جن نصيبين) . وكانوا اثني عشر ألفاً ، والسورة التي قرأها عليهم : اقرأ باسم ربك . وفي آخر هذا الحديث قلت : يا رسول الله ، سمعت لهم لغطاً ، فقال : (إنهم تداروا في قتيل لهم فحكمت بالحق) . وقد روي عن ابن مسعود أنه لم يحضر أحد ليلة الجن ، والله أعلم بصفة ذلك . .

{ فَلَمَّاءَ حَضَرُوهُ } : أي القرآن ، أي كانوا بمسمع منه ، وقيل : حضروا الرسول ، وهو التفات من إليك إلى ضمير الغيب . { وَقَالُوا أَنْصِتُوا } : أي اسكتوا للاستماع ، وفيه تأديب مع العلم وكيف يتعلم . وقرأ الجمهور : { فَلَمَّاءَ قُضِيَ } : مبنياً للمفعول ؛ وأبو مجلز ، وحبیب بن عبد الله بن الزبير : قضى ، مبنياً للفاعل ، أي قضى محمد ما قرأ ، أي أتمه وفرغ منه . وقال ابن عمر ، وجابر بن عبد الله : قرأ عليهم سورة الرحمن ، فكان إذا قال : { فَيَأْتِيَّ ءِالَاءَ رَبِّكُمْ مَا تُكَدِّبُونَ } ، قالوا : لا شيء من آيات ربنا نكذب ربنا لك الحمد . { وَلَوْ وَآءٌ } : تفرقوا على البلاد ينذرون الجن . قال قتادة : ما أسرع ما عقل القوم . انتهى . وعند ذلك وقعت قصة سواد بن قارب ، وخنافر وأمثالهما ، حين جاءهما رياهما من الجن ، وكان سبب إسلامهما . .

{ مِّن بَعْدِ مُوسَى } : أي من بعد كتاب موسى . قال عطاء : كانوا على ملة اليهود ، وعن ابن عباس : لم تسمع الجن بأمر عيسى ، وهذا لا يصح عن ابن عباس . كيف لا تسمع بأمر عيسى وله أمة عظيمة لا تنحصر على ملته ؟ فيبعد عن الجن كونهم لم يسمعوا به . ويجوز أن يكونوا قالوا : { مِّن بَعْدِ مُوسَى } تنبيهاً لقومهم على اتباع الرسول ، إذ كان عليه الصلاة والسلام قد بشر به موسى ، فقالوا : ذلك من حيث أن هذا الأمر مذكور في التوراة ، {

مُصَدِّقًا لِّمَا بَيَّنَّ يَدَيَّهِ { من التوراة والإنجيل والكتب الإلهية ، إذ كانت كلها
 مشتملة على التوحيد والنبوة والمعاد ، والأمر بتطهير الأخلاق . { يَهْدِي إِلَيَّ الْحَقُّ }
 : أي إلى ما هو حق في نفسه صدق ، يعلم ذلك بصريح العقل . { وَإِلَيَّ * صِرَاطٌ
 مِّسْتَقِيمٌ } : غابر بين اللفظين ، والمعنى متقارب ، وربما استعمل أحدهما في موضع لا
 يستعمل الآخر فيه ، فجمع هنا بينهما وحسن التكرار . { أَجِبُوا دَعِيَ اللَّهِ } :
 هو الرسول ، والواسطة المبلغة عنه ، { يَا قَوْمَنَا أَجِبُوا } : يعود على الله . .
 { يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ } : من للتبعيض ، لأنه لا يغفر بالإيمان ذنوب
 المظالم ، قال معناه الزمخشري . وقيل : من زائدة ، لأن الإسلام يجب ما قبله ، فلا يبقى معه
 تبعة . { وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ } : وهذا كله وطواهر القرآن تدل على
 الثواب ، وكذا قال ابن عباس : لهم ثواب وعليهم عقاب ، يلتقون في الجنة ويزدحمون على
 أبوابها . وقيل : لا ثواب لها إلا النجاة من النار ، وإليه كان يذهب أبو حنيفة .
 فَلَا يَسَّرُ بِمُعْجِزَةٍ فِي الْأَرْضِ } : أي بفائت من عقابه ، إذ لا منجا منه ، ولا مهرب ،
 كقوله : { وَأَنْزَلْنَا ظَنَيْنًا أَنْ لَّسْنَا نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَآن
 نُّعْجِزَهُ هَرَبًا } . وروي عن ابن عامر : وليس لهم بزيادة ميم . وقرأ الجمهور :
 وَلَمْ يَعْوَ } ، مضارع عوي ، على وزن فعل ، بكسر العين ؛ والحسن : ولم يعي ، بكسر
 العين وسكون الياء ، ووجهه أنه في الماضي فتح عين الكلمة ، كما قالوا في بقي : بقا ،
 وهي لغة لطيدة . ولما بنى الماضي على فعل بفتح العين ، بنى مضارعه على يفعل بكسر العين
 ، فجاء يعني . فلما دخل الجازم ، حذف الياء ، فبقي يعي بنقل حركة الياء إلى العين ،
 فسكنت الياء وبقي يعي . وقرأ الجمهور : { بِقَادِرٍ } : اسم فاعل ، والباء زائدة في
 خبر أن ، وحسن زيادتها كون ما قبلها في حيز النفي . وقد أجاز الزجاج : ما ظننت أن
 أحداً بقائم ،